وقفة: مع الظلم

هو دليل قسوة القلب، ودليل غلظته، ويعمل على إشاعة الفساد في الأرض، والانحلال بين الخلق، ويعمل على تفكك المجتمع، ويزرع عدم الثقة بين الناس، فلا يثق حميمٌ في حميمه، ولا أحدٌ من الخلق في غيره.

آثاره سيئة، وعاقبته وخيمة، ونتائجه سلبية، فهو تجاوزٌ للحد المشروع، أو وضعٌ للشيء في غير موضعه، ولذا سمّي ظُلمًا.

ومن هنا كان تحريمه، وجاءت محاربة الإسلام للظلم، والتحذير من الظَّلَمة، وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالى: ♂**يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**═، رواه مسلم.

ولك أن تتساءل أيها القارئ الكريم، من ذا الذي يحرم على الله تعالى؟ إنه الله وحده من يحرم على نفسه، ويحرم على خلقه، وقد حرمّ الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

فهيا يا عباد الله الفضلاء، ولنستعرض بعضًا من صور الظلم، وإلا فإن صوره كثيرة، ومجالاته متعددة، ولكن، حيث ما وُجد الظلم فقد ثبت التحريم، إذن فلا تظالموا.

إن أشد أنواع الظلم خطورة، هو ذلكم المُحبط للأعمال الصالحة، ألا وهو الشرك بالله تعالى، والعياذ بالله.

وقد بين الله تعالى عقاب الظالمين المشركين، فقال جل جلاله: {إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا} [الكهف: ٢٩].

أما الذين آمنوا بالله، ولم يشوبوا إيمانهم بالظلم، فلهم الأمن يوم الفزع الأكبر، يقول الله سبحانه: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وعندما نزلت هذه الآية الكريم، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ﷺ **ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]ـــ.

فيا مسلمون، حقًا وصدقًا، إن الشرك بالله لظلم عظيم، فهو توجه بالعبادة لغير مُستحقها، حيث إن المشرك أدى ما أداه لغير وجه الله، وما أقبح أن يجعل المرء لله شريكًا، والله خالقُه، والله رازقه، والله مُحييه، والله مُميته، فسبحان ربي العظيم.

ويكون الظلم من أولائك الحمقى، الذين إذا ذكّروا بآيات ربهم كذبوا بها، وأعرضوا عنها، يقول العزيز العليم:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

كما وأن من صور الظلم، ونعوذ بالله منه، ما يكون من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فالمسلم أخ المسلم، لا يظلمه، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

ولله در القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا تنام ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم يدعو عيناك والمظلوم منتبه ::: عليك وعين الله لم تنم

ومن صور الظلم الرشوة، والسرقة، والغصب، وأكل مال اليتامى ظلمًا، ومن الظلم أكل الربا.

من الظلم غصب الأرض، وعدم العدل في الإرث، وتوزيع الميراث وفق ما حدده الله جل وعلا، كأن يحرم أنثى، أو يفضل ذكرًا.

وكذلك الظلم في القضاء بين الناس، وشهادة الزور ظلم، والتكبر

على عباد الله، والسخرية من الآخرين، والكذب، والافتراء على خلق الله، والحسد، والكيد، والمساواة بين المجد والمُهمل، فكل ذلك من الظلم.

فيا أيها الأحبة، من فعل واحدة من هاتيك الأفعال، أو غيرها مما خالف فيه الله، وخالف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ظالم لنفسه، ولمجتمعه، ولأمته: قال تعالى:{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ} [الطلاق: ١]، وفي آية أخرى:{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [البقرة: ٢٢٩].

ومن رحمة الله تعالى بالناس، أن ترك باب التوبة مفتوحًا أمام الظالمين، وترك لهم متسعًا من الوقت عسى أن يتوبوا، ولم ينزل بهم عذابه حال ظلمهم وتعدّيهم، فقال عز من قائل:{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [النحل: ٦١]، وقال أيضًا:{ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ } [المائدة: ٣٩].

فبادر أخي بالتوبة، وعجل الحوبة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، وتحلل من كل المظالم، واحذر أن تموت ظالماً، فإن الظالمين لا يعذرون، ولا يقبل منهم فيفتدون،{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾} [غافر: ٥٢]، وتذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين، في ذلك اليوم،{ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾} [الزمر: ٤٧].

فيا أخي الحبيب، ويا أختي الفاضلة، هاهو باب التوبة مفتوح، وقوافل التائبين تغدو وتروح، فالبدار البدار إلى توبة نصوح، قبل أن تغرغر الروح، قبل أن يأتي يوم لا يَنفعُ نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

فاللهم حبب إلينا العدل في الأمور كلها، واجعلنا من المُقسطين،

ونعوذ بك يا رب من دعوة المظلومين، اللهم آمين.

* * *